ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المجتمع والرياضة
Society and Sports Journal
ISSN: 2602-7992 EISSN: 2710-8384
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/493
المجلد: 07 العدد: 02 جوان 2024 ص. 98-107

قراءة لظاهرة العنف المدرسي في ضوء النظريات المفسرة لها

A reading of the phenomenon of school violence in light of the theories explaining it

صالح العقون [1] *

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي (الجزائر) ، الايميل salahmam@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 25-01-2024؛ تاريخ القبول: 30-03-2024؛ تاريخ النشر: 30-07-2024

ملخص:

نسعى في مقالنا هذا الى تقديم قراءة لظاهرة العنف المدرسي في ضوء النظريات المفسرة لها وذلك من خلال عرض لاهم النظريات التي تناولت بالتحليل ظاهرة العنف وفقا لتصوراتها الخاصة ومنطلقاتها الأساسية ثم القيام بإسقاط تصورات هذه النظريات وتفسيراتها على ظاهرة العنف المدرسي ساعين من وراء ذلك الى تقديم تحليل سوسيولوجي لهذه الظاهرة من خلال الكشف عن مختلف صياغاتها وفق النظريات التي تم التركيز عنها مع تحليل ذلك وفقا لمنطلقات واليات سوسيولوجية

ان ما ينبغي التأكيد عيه هنا هو ان هذه النظريات قد سعت الى تفسير ظاهرة العنف الاجتماعي مركزة على مجموعة من العوامل الأساسية التي تراها كل نظرية بأن لها الدور الكبير والمباشر في نشوء هذه الظاهرة الا ان ما نؤكد عليه كذلك هو ان جملة الرؤى التي قدمتها هذه المقاربات النظرية تساهم في تقديم صورة شاملة تساهم في فهم الظاهرة بصورة اشمل ومن ثمة تقديم مقترحات لعلاجها.

الكلمات المفتاح : العنف المدرسي ، النظريات.

Abstract:

In our paper, we aim to provide a deep analysis of school violence in light of explanatory theories. This involves presenting key theories that have already analyzed violence, each offering unique perspectives and fundamental foundations. Subsequently, we apply these theories and their interpretations to the phenomenon of school violence, seeking to offer a sociological analysis by revealing its various formulations based on the already-mentioned theories. This analysis includes an examination according to sociological frameworks, exploring the perspectives and mechanisms involved.

It is crucial to emphasize that these theories have sought to explain the social phenomenon of violence, focusing on a set of fundamental factors that each theory sees as playing a significant and direct role in the emergence of this phenomenon. However, it is also important to highlight that the collective insights provided by these theoretical approaches contribute to presenting a comprehensive picture that enhances our understanding of the phenomenon more broadly, thereby offering suggestions for its remediation.

Keywords: School Violence; Theories

* المؤلف المرسل.

I- تمهيد :

تعتبر ظاهرة العنف المدرسي من الظواهر الباثولوجية التي طغت على مسرح الحياة المدرسة في المجتمعات على اختلاف توجهاتها وعلى اختلاف نظمها التعليمية .

ورغم ان العنف عموما ظاهرة قديمة قدم الإنسانية إلا ان التغيرات الحالية والظروف المعاصرة التي عرفتها الإنسانية في السنوات الأخيرة قد ألقت بظلالها على الظاهرة وأسهمت في انتشارها بدرجة أكبر وبصورة أوسع وهو الأمر الذي أنتج واقعا تربويا وتعليميا غير الذي ينشده المجتمع وكذا أعضاء الجماعة التربوية والتعليمية.

فقد أصبحت بعض المؤسسات التربوية مع الأسف الشديد مسرحا لبعض مظاهر العنف سواء منه المادي او المعنوي وهو ما اثر سلبا على أداء العاملين فيها من جهة وعلى المناخ الدراسي للتلميذ اذ يعتبر المناخ الدراسي اللامستقر عائقا للتفوق وللأداء الأحسن لجميع أعضاء الجماعة التربوية.

إن الرؤية التي تقدمها السوسيولوجيا عموما لمختلف الظواهر في العموم هي رؤية شاملة تهدف من خلالها إلى الإحاطة بجل جوانب الظاهرة رغبة في فهمها وتفسيرها ومن ثمة اقتراح الحلول المناسبة لها .

ولعل الخطوة الأولى في ذلك تكون بالوقوف على أسباب الظاهرة والتعرف عليها للانطلاق إلى المراحل اللاحقة في تفسيرها وعليه وباعتبار العنف كما أسلفنا ظاهرة اجتماعية عرفتها الكثير من المجتمعات الإنسانية فإن النظريات العلمية قد سعت إلى تقديم تفسيراتها لهذه الظاهرة وذلك في ضوء منطلقاتها ومسلماتها الأساسية رغبة منها في تطويق الظاهرة والحد من خطورتها.

وقد جاءت مقالتنا العلمية هذه لتقديم قراءة علمية تحليلية لظاهرة العنف المدرسي في ضوء النظريات المفسرة للعنف هادفين من وراء ذلك الى تقديم رؤية واضحة لهذه الظاهرة مع تقديم بعض المقترحات حولها انطلاقا من تساؤل مفاده : ما هي قراءات ظاهرة العنف المدرسي في ضوء النظريات المفسرة له؟ ما هي اسقاطات هذه المقاربات النظرية على ظاهرة العنف المدرسي ؟

1- تعريف العنف:

سنحاول هنا ان نتطرق الى بعض التعريفات التي قدمت لظاهرة العنف بدءا بالتعريف اللغوي ثم الاصطلاحي لهذا المفهوم.

أ –لغة:

جاء في قاموس لسان العرب أن العنف هو: الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق. (مسعود بوسعدية ،2011,ص:6).

وأعنف الشيء تعني أخذه بالشدة, والتعنيف هو التقريع واللوم وتعني استخدام القوة الاستخدام غير المشروع أو غير المطابق للقانون.

كما جاء في قاموس أكسفورد أن كلمة العنف تعني ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات, كما يعتبر عنفا كل فعل أو معاملة تحدث ضررا جسمانيا أو التدخل في الحرية الشخصية للآخر. (أميمة منير عبد الحميد جادو،2005، ص:3).

وعليه يمكن القول أن كلمة العنف من الناحية اللغوية تعني: ممارسة القوة, وكذا إلحاق الضرر بالآخرين كما انها عكس الرفق.

ب– اصطلاحا:

أن تعريف مفهوم العنف من الناحية الاصطلاحية يتباين بتباين العلماء وبتباين نظرتهم لهذه الظاهرة كذلك ويمكننا هنا ان نورد بعض تعريفات العنف فيما يلي:

تعريف جلافو: يعرفه بانه جميع أشكال الضغط والسيطرة والاستغلال شريطة أن تصل إلى حد المس أو التهديد بمس الأفراد أو الجماعات جسديا. (فيليب بيرنو و آخرون ،1985،ص:141).

يلاحظ في هذا التعريف حصره للعنف من خلال إلحاق الأذى الجسدي أو التهديد بإلحاقه بالأفراد أو الجماعات، لكن ماذا عن الأذى المعنوي ألا يعتبر عنفا ؟.

تعريف خضير شعبان: العنف شكل من أشكال التفاعل الإنساني المؤدي إلى الأذى الجسدي أو الروحي أو كليهما, مسببا في بعض الأحيان القتل وسواء أكان هذا العنف عن قصد أو عن غير قصد, ويكون موجها للإنسان والحيوان والممتلكات. (مسعود بوسعدية ،2011,ص:6).

نلاحظ من خلال هذا التعريف تركيزه على النتيجة التي يحدثها العنف، إضافة إلى ذلك تطرقه الى موضوع القصد أو غير القصد, فقد يقوم الإنسان ببعض الأفعال عن طريق الخطأ أي دون قصد.... فهل يعتبر ذلك عنفا في هذه الحالة ؟

العنف هو مجموعة من السلوكات تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس أو بالآخر ويأتي بشكلين أما بدني مثل الضرب والتشاجر أو التدمير أو إتلاف الأشياء و العنف اللفظي مثل: التهديد, الفتنة, الغمز, النكتة اللاذعة, و هو في الأخير يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إلحاق الأذى. (سلاطنية بلقاسم, حميدي سامية, 2008، ص:8).

التعريف الإجرائي :

العنف هو كل سلوك فردي أو جماعي يستهدف إلحاق ضرر مادي أو معنوي وقد يوجه نحو الذات أو نحو الآخرين أو نحو الممتلكات المادية.

التعريف الإجرائي للعنف المدرسي :

هو كل سلوك ضار يصدر عن أحد أعضاء الجماعة التربوية او يستهدف أحد أعضاءها أو مكونات المؤسسة التربوية سواء كان هذا الضرر ماديا او معنويا.

2. النظريات المفسرة للعنف:

تعددت المداخل النظرية التي سعت الى تفسير ظاهرة العنف بتعد وجهات نظر روادها ومؤسسيها وتباين وجهات النظر كذلك حول ظاهرة العنف ويمكن في هذا المقام أن نستعرض لأهم النظريات التي فسرت ظاهرة العنف من خلال ما يلي :

أ- مدرسة التحليل النفسي:

تعود هذه النظرية لمؤسسها "سيجموند فرويد" وهي تركز على حافزين بيولوجيين فطريين موجودين عند الإنسان هما حافزي الجنس والعدوان.

إذ ترى أن حافز الجنس يلعب دورا خطيرا في تحديد وتوجيه سلوك الفرد وكذا اتجاهاته في مختلف مراحل حياته وكذا أدواره كما ترى أن هذا الحافز يبقى ملازما للإنسان للمحافظة على ذاته وتأكيد وجوده.

أما الحافز الثاني وفقا لذات النظرية فهو حافز العدوان ونجد ان وظيفته تتجسد فهي المحافظة على الإنسان وإشباع حاجاته وهي ترى أن العدوان يحدث نتيجة الخلل الناجم عن عدم إشباع الحاجات نتيجة كبتها أو صدها, وبطبيعة الحال نجد أن الشخص السوي يعمل دائما على إحداث التكيف والتوافق بين حاجاته ودوافعه الفطرية والظروف الخارجية, أما في حالة فشل الذات في إحداث هذا التوافق فإن ذلك يؤدي بالفرد إلى المرض النفسي أو الجناح أو الجريمة. (أميمة منير عبد الحميد جادو,2005،ص:35).

يرى فرويد أن الإنسان يولد مزودا بعدد من الغرائز العدوانية تكون متواجدة على مستوى طبقات اللاشعور الداخلية وقد جاء في كتابه – خلل في الحضارة قوله " ليس الإنسان قطعا ذاك الكائن الطيب الذي يقال عنه أنه يدافع عن نفسه عندما يهاجم بل هو على العكس من ذلك كان يتحتم عليه أن يضع في حساب معطياته الغريزية نصيبا كبيرا من العدوانية كإحدى تجليات الممارسة العنفية ". (مختار رحاب ،2010/2009,ص:125).

وعند تحليله لنشاط العقل البشري يرى فرويد أنه يعمل على مستويين اثنين هما :

مستوى الوعي ومستوى العقل الباطن، كما قسم في هذا الإطار العقل إلى ثلاثة أجزاء وهي:

- الهو:

وهو يمثل الجانب الغرائزي والأقرب إلى الغرائز الحيوانية في الإنسان إذ يشتمل على حاجات الإنسان الفطرية كالحاجة الى الغذاء والهواء والإشباع الجنسي إضافة إلى النزوات الفطرية الأخرى ولذلك أطلق عليه بما تسميته الوحش الكامن في الإنسان.

- مستوى الأنا:

وهو المستوى المعتدل في العقل البشري للإنسان ونجد ان هذا المستوى يسعى الى إشباع مختلف الحاجات الفطرية على نحو ملائم ومقبول كما انه يتصرف بناءا على تخطيط واقعي وواضح.

- مستوى الأنا الأعلى:

وهو يمثل قمة الضمير الإنساني للفرد اذ يتجسد في القيم العليا المثلى المقبولة اجتماعيا.

يؤكد فرويد أن هذه المكونات الثلاث للعقل الإنساني تكون في صراع مستمر مع بعضها وأن العقل يتميز بسعة فطنته وحيلته للمساعدة على القيام باليات دفاعية تساعد على إيجاد حلول لهذه المشكلات عن طريق النكوص والبحث والتسامي و قد يلجأ إلى العنف في بعض حالاته.

وعليه وعلى العموم يمكن القول ان مدرسة التحليل النفسي ترى أن العنف يحدث نتيجة للصراع الكائن بين مختلف الرغبات الفطرية للكائن البشري وبين معطيات العالم الخارجي الذي يعيش فيه كما ان سلوك العنف هنا يقع نتيجة ذلك الفشل الذي يجده الإنسان في تحقيق وتجسيد رغباته وحاجاته نتيجة اصطدامها بعائق من العوائق المختلفة وهو الأمر الذي يحدث صراعا نفسيا لدى الإنسان يؤدي بدوره إلى العنف.

وكمحاولة إسقاطيه لنظرية التحليل النفسي على ظاهرة العنف المدرسي نقول انه لا يمكن إغفال ما لمكبوتات الإنسان ورغباته الداخلية من دور مباشر وتأثير واضح على سلوكه فالتلميذ المتمدرس هنا هو كائن له مشاعره ورغباته وحاجاته المختلفة والمتعددة المناحي كما ان تباين واختلاف المستويات التعليمية والثقافية للأسرة خاصة ولمختلف الأوساط الاجتماعية وكذا مختلف الأفراد الذين يحتك التلميذ بهم ويتعامل معهم إضافة إلى ظروف المجتمع وكذا عاداته وتقاليده وأعرافه كلها لها دور مباشر في تأقلم التلميذ وتكيفه او العكس.

ويشهد الواقع الاجتماعي ان الكثير من أفراد المجتمع سواء كانوا تلاميذ او غيرهم يعانون من مظاهر الكبت والفشل في إيجاد الآليات الصحيحة للتوفيق والتكيف بين ما بداخلهم من جهة وبين واقع اجتماعي او مدرسي يجدون أنفسهم مجبرين على التصرف وفق ضوابطه وقوانينه وهو ما يدفعهم إلى ممارسة سلوك المدرسي كمؤشر على عدم تكيفهم هذا.

ب– نظرية التعلم :

تعود هذه النظرية إلى العالم الشهير ألبرت باندورا وهي ترى أن العنف هو سلوك يتعلمه الفرد من البيئة المحيطة به إضافة الى ذلك فإنه يحدث عن طريق عمليتي التقليد والنمذجة حيث أكد كل من باندورا و اوليبرت و دافيد الكند على أثر عوامل النموذج و التقليد و مشاهدة السلوك العدواني للكبار على اكتساب الطفل نفس هذا السلوك. (احمد عكاشة،1982، ص:191).

ان بعض الممارسات السلوكية الخاطئة سواء داخل الأسرة من قبل الوالدين او الإخوة او جماعة الأقران إضافة الى مشاهدة الطفل للأفلام العنيفة اذ يمكننا التأكيد هنا على ما أحدثته هذه الألعاب الالكترونية العنيفة والتي أصبحت متاحة لمختلف أفراد المجتمع في عالم الانترنيت كاللعبة المسماة "تحدي الموت" والتي أصبح بعض التلاميذ يمارسونها للأسف الشديد وكلك الحال للعبة "الحوت الأزرق" واللعبة المسماة "لعبة مريم" وغيرها من الكثير من الألعاب الالكترونية الخطيرة التي انتشرت بكثرة في السنوات الأخيرة.

كما يشهد الواقع الاجتماعي والمدرسي ان الكثير من الأطفال والمراهقين قد تأثروا سلبا بهذه الألعاب إضافة أن البعض منهم وللأسف انتقل الى الممارسة العنفية من خلال تطبيق ما تعلمه وشاهده على زملاءه وغيرهم كما ان البعض منهم توجه نحو إيذاء ذاته وللأسف الشديد .

يؤكد باندورا خلال تحليله للسلوك العدواني على ثلاث قضايا رئيسية وهي: الطريقة التي يتم بها اكتساب السلوك, وكذا العوامل التي تحفز على قيام هذا السلوك إضافة إلى الظروف التي تساند أداءه. (سلاطنية بلقاسم ،سامية حميدي ،2008,ص:50).

فهذه العوامل تعمل في إطار من التكامل لوقوع سلوك العنف وهو ما يستدعي الوقوف عند كل عامل على حدا عند كل المحاولات التي تسعى إلى محاربة سلوك العنف والحد منه.

كما تلعب بعض الظروف كعوامل مساعدة ومؤثرة في تبني الفرد لسلوك العنف كتعرضه هو للعنف أو استثارته من طرف الآخرين إضافة إلى ظروف بيئية أخرى.

ركز باندورا خلال تفسيره لنظريته كذلك على بعض العوامل التي تسهم في ترسيخ السلوك العنيف لدى الفرد كعاملي التعزيز والمكافأة اذ يؤكد هنا أن تعزيز سلوك الشخص العنيف وكذا الإشادة به وبسلوكه (التدعيم الإيجابي) يسهم في تفشي سلوك العنف.

فمما يؤسف له كذلك في هذا المقام أنه يحدث أن تتم الإشادة بسلوك العنف كما يحدث عندما يعنف تلميذ أستاذه أو أحد أعضاء الإدارة أو عندما ينتقم تلميذ من تلميذ او مجموعة تلاميذ من مجموعة تلاميذ أخرى.

في هذا الصدد يؤكد باندورا أن هناك علاقة طردية بين السلوك العدواني والتدعيم الإيجابي له وعليه ففرص استمرارية هذا الفعل تكون أكثر كلما كان هناك تدعيم أما في حالة غيابه كعدم مراعاة سلوك العنف فإن ذلك يقلل من فرص مداومة هذا السلوك واستمراريته.

ويظهر مما يتقدم أن نظرية التعلم تفسر سلوك العنف في ضوء عامل التعلم اذ من خلال عوامل تقليد ومحاكاة ونمذجة مظاهر السلوك التي يشاهدها الفرد او يعايشها يتعلم سلوك العنف .

ونجد ان هذه النظرية من خلال ما تقدم عرضه تفسر سلوك العنف في ضوء العوامل الخارجية اذ ركزت على علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به بمختلف مكوناتها وقد سبق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في تأكيد ذلك من خلال حديثه الشريف الذي يقول فيه : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" . وقد قيل كذلك ان : "الصاحب ساحب".

ان هذا الأمر الذي يقتضي ضرورة مراعاة تأثير عامل التعلم لدى الفرد وخاصة في مرحلتي الطفولة والمراهقة حيث عدم اكتمال النضج العقلي والمعرفي والنفسي وهو الأمر الذي يتطلب من منظومة التربية والتنشئة كالأسرة خاصة ثم المدرسة مراعاة ذلك من خلال رسم نماذج سلوكية سليمة امام التلميذ إضافة إلى مراقبة جماعة الرفاق للأبناء والحرص على اختيار الأفضل منهم دون إغفال تأثير الأثر الكبير لمختلف وسائط الإعلام الحديثة في سلوك الأبناء كذلك.

ج –نظرية الضبط الاجتماعي:

تؤكد هذه النظرية على أن العنف هو غريزة داخلية في الإنسان يتم التعبير عنها نتيجة فشل المجتمع في رسم قيود وضوابط وقواعد محكمة على الأفراد وعلى سلوكياتهم.

كما تؤكد هذه النظرية أن خط الدفاع الأول في المجتمع يتكون من الأشخاص ذوي السلوك السوي الذين لا يشجعون على العنف أما الأفراد الآخرون الذين تفشل أسرهم في السيطرة على سلوكهم فيتم ضبطهم والسيطرة عليهم عن طريق رجال الشرطة والقانون. (ميزاب ناصر ،2014,ص:53).

وعليه ترى هذه النظرية أن دافعية الانحراف شيء فطري في الإنسان لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : الى أي حد يكون هذا مبررا للقيام بالسلوكيات العنفية ؟

ذلك ان الامتثال للضوابط والقوانين والمعايير الاجتماعية العامة هي عامل أساسي وشرط ضروري لوجود حياة اجتماعية آمنة وحقيقية ، كما ان ما ينبغي على الفرد أن يدركه ان حريته تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين.

ان محاولة إسقاط هذه النظرية على الواقع تثبت لنا ان البيئات الاجتماعية الفوضوية والتي تنتشر فيها مظاهر التسيب وتضعف فيها مؤسسات الضبط الاجتماعي عن أداء مهامها لخير دليل على تفسير ذلك اذ نجد ان من سماتها انتشار العنف والفوضى والاعتداء .

كما ان عدم اهتمام الأسرة بتربية النشء على مختلف الضوابط الاجتماعية واحترامها مثلا او تغاضيها عما يصدر من نماذج سلوكية خاطئة عن الأبناء ثم فشلها في السيطرة على سلوكياتهم العنيفة لاحقا وخاصة خلال فترات المراهقة من أهم العوامل التي تقف وراء انتشار ظاهرة العنف في المجتمع.

وقد جاء في الأثر: " أن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرءان" وما هو يدل على أن الضوابط الاجتماعية وكذا القوانين لها دور في ضبط حياة الناس وتنظيمها.

فقواعد وقوانين المجتمع ورغم إيمانها بحرية الفرد لكن ينبغي ان يكون ذلك في إطار مراعاة حريات الآخرين وكذا احترام حياتهم كما أنه لا يمكن كذلك أن يكون هناك تبرير لسلوكيات الإنسان العنيفة الصادرة على الإنسان في إطار حريته او إرادته الشخصية أو رغباته الذاتية او ما شابه ذلك.

في إطار هذا النظرية نجد أن الفرد يمارس سلوك العنف إذا وجد ان هناك توظيفا لسلوكيات العنف مع غياب ضوابط قوية للحد من هذه السلوكيات بمعنى ان يصبح العنف هو الوسيلة الأكثر استخداما لاسترداد الحق على حد تعبير فئة من ممارسي العنف.

وعليه نؤكد هنا ان قوة الية الردع الاجتماعي من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ومؤسسات الامن والقانون تعتبر من أهم الآليات الضرورية والمساعدة على تطويق هذه الظاهرة السلبية وفي المقابل فإن ضعف قوة الردع الاجتماعي وكذا عدم وجود الصرامة في مختلف المواضع التي تستدعي ذلك من شأنه أن تؤدي إلى تمادي المنحرفين في انحرافهم وكذا وانتشار العنف.

د– نظرية ثقافة العنف :

تؤكد هذه النظرية ان الثقافة نعتبر أداة لإنتاج العنف حيث أن انتشار ثقافة العنف بين الأفراد يعتبر مؤشرا رئيسيا في انتشاره وفي هذا الصدد يشير: دافيد كوهن (1995) إلى أن : الثقافة الفرعية التي يتم اكتسابها عن طريق التفاعل بين أفرادها هي عبارة عن أنماط سلوكية منظمة بشكل مناف لأنماط الثقافة الأم. (الطيب بالجرحي ،1994، ص:19).

ولعل هذه المشكلة تظهر أكثر نتيجة للغزو الثقافي العام ذلك ان ثقافة العنف تظهر من خلال مختلف الوسائل الإعلامية كالتلفاز مثلا او الوسائط التكنولوجية الأخرى التي تشيد بسلوك العنف وتمجده .

إضافة الى ذلك يتضح هذا الامر في حالة وجود معايير اجتماعية او أفكار تساير سلوك العنف وتعمل كذلك على نشره وتركيز المبدأ الذي يجعل السيطرة للأقوى دوما وهو الأمر الذي يزيد من احتمالية وقوع سلوك العنف. ومن خلال هذه المعايير والقوانين تتجسد ثقافة في المجتمع تقوم بتمجيد وتعظيم العنف. (حامد عبد السلام زهران،1995،ص:384).

إضافة الى ذلك أكد gabriel tarde خلال تفسيره لسلوك للإجرام الى ان السلوك يخضع للعادات والتقاليد الخاصة للوسط الذي ينتمي اليه اعتبار عامل التقليد عامل أساسي في بناء العلاقات الاجتماعية وبطبيعة الحال ففعامل التقليد والنمذجة له دور مباشر في ممارسة سلوك العنف.

وقد ركز gabriel tarde كذلك في دراسته لسلوك المجرمين على دراسة سلوك المنحرفين في إطار تشابه عامل التقليد لديهم خاصة ما يتميزون به من خصائص مشتركة كالوشم مثلا اضافة الى المصطلحات المستعملة فيما بينهم .-guastave nicolas.f.psychologie de violences social.ibid.p 26

وعليه فزمر ومجموعات الاجرام والعنف مثلا تشترك في جملة الخصائص المميزة لها نتيجة تجانس أعضاءها والاتفاق العام الذي يجمعهم رغم ممارستهم واتفاقهم على السلوك الاجرامي.

كما يمكن هنا ان نغفل ان الكثير من القيم الوافدة والدخيلة التي غزت للمجتمع الأصلي قد أثرت بشكل كبير على المنظومة الأخلاقية ولعل هذا الأمر يكون أكثر تأثيرا عندما تكون المنظومة القيمية ضعيفة وهو الأمر الذي يتطلب وضع الآليات الكفيلة بتنظيم هذا التأثير ومحاولة الحد منه.

لا يمكن بحال من الأحوال إغفال ما للثقافة من خلال مكوناتها من أهمية في انتشار مختلف العناصر داخل النسيج الاجتماعي وعليه فعندما تسود ثقافة القوة والعنف والاستقراء داخل محيط اجتماعي ما فإن ذلك من شأنه الإسهام المباشر في انتشار ظاهرة العنف ويتجلى الأمر بصفة أكثر وضوحا لدى بعض المراهقين المتمدرسين الذين يتسمون بسلوك العنف اذ نجد انهم قد تشبعوا ببعض العناصر الثقافية التي تمجد العنف وتحث عليه وهو ما يجسدونه فعلا وقولا في مؤسساتهم التربوية وفي حياتهم المدرسية.

هـ–العنف من منظور إسلامي:

حرص دين الإسلام على الخلق النبيل والتسامح والرحمة بين افراد المجتمع كما أمر بفضائل الأخلاق وأجملها في مقابل النهى عن الشرور والآثام وكذلك ظلم الآخرين.

وتستهدف هذه التعاليم والضوابط العيش السليم ونشر المودة داخل المجتمع الواحد بما يفيد كلا من الفرد والمجتمع على حد سواء.

ونظرا لطبيعة الفرد الإنسان الذي خلق ضعيفا كما ذكر الخالق تبارك وتعالى إذ لا يستقر على حال ثابت مصداقا لقوله تعالى" إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسّه الشر جزوعا وإذا مسّه الخير منوعا " (سورة المعارج ،الآية 19.20).

يرى الإسلام أن الإنسان يتكون من جسد وعقل و روح و نفس مع ان بعض العلماء ما يرى أن النفس و الروح شيء واحد و بما أن النفس عند الانسان هي ذلك الجانب اغير المرئي مع ان لها بالغ الأثر في توجهه نحو فعل الخير والشر ووفقا لذلك فقد دعا الإسلام إلى ضرورة ردعها و تهذيبها وتجنب اتباع رغباتها لأنها بذلك تحيد عن المسار الحقيقي الذي يرضاه خالقها لكن الإنسان المسلم العارف بحدود ربه يدرك ذلك ويسعى دوما الى عدم اتباع هواه.

وقد جاء في القرءان الحكيم ان النفس البشرية ثلاث هي : النفس اللوامة, والنفس المطمئنة, والنفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة هي التي تمنع وتنهى صاحبها عن أفعال الشر وعن ارتكاب المعاصي فوعليه هي بمثابة المحكمة الداخلية للفرد ، أما النفس المطمئنة فهي النفس الخيرية والمعتدلة, أما النفس الأمارة بالسوء فهي النفس التي تأمر دوما صاحبها بالمعاصي وارتكاب الأخطاء ولذلك يغلب عليها فعل المحرمات و ترك الواجبات الشرعية واتباع الشهوات الدنيوية.

ونجد انه من حكمة الله سبحانه وتعالى أن شرع للإنسانية أكبر دستور منظم وأعظم قانون كوني الا وهو القران الكريم الذي بين فيه الخالق سبحانه وتعالى الصواب والخطأ والحلال والحرام والواجب والممنوع.

وباعتبار الإنسان يعيش في مجتمع يحتوي في تركيبته على مزيج بشري متنوع اذ يختلف فيه أفراده سواء على مستوى سلوكهم وكذا مستوى رقي أخلاقهم وطرق تفكيرهم وعليه فانه ونتيجة لذلك فإنه يحدث أن يتعرض الفرد لبعض مواقف الظلم أو الاعتداء أو استثارة الغضب .

رغم أن الغضب حالة طبيعية في الإنسان مثلها مثل الانفعالات الأخرى الا ان ما ينبغي التأكيد عليه انها قد تؤدي إلى نتائج سلبية والى ما لا يحمد عقباه ولذلك فقد أمر الإسلام أتباعه بضرورة تجنب الغضب وضبط النفس فقد جاء في حديث النبي (ص): " ليس الشديد منكم بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب".

والغضب هو أصل الشرور دوما وهو أساس ارتكاب سلوك العنف اذ أن الإنسان في هذه الحالة يقوم بمختلف السلوكات المشينة كالسب والشتم بل وحتى على القتل والتخريب ولذلك نهى الإسلام عنه ، لكن كيف يتباين الناس في سلوك العنف وردة فعلهم في هذا الإطار؟

ان الرجوع الى واقع الحياة اليومية يكشف لنا أن بعض افراد المجتمع وللأسف يقدم على ارتكاب سلوك العنف لأسباب واهية اذ أن بعض حالات القتل والاعتداء ارتكبت لأسباب تافهة ككلمة عابرة او ظن خاطئ او فهم غير سليم للمقصد ونجد ان هذا الجرم كان بالإمكان تجنبه هو اعمل العقل ولو قليلا أحيانا لكنه الغضب وللأسف يفعل فعله في الانسان.

أن هذه المواقف المؤسفة التي تحدث بين الحين والأخر لكفيلة في أغلب الحالات برجوع الناس إلى طريق الصواب وندمهم على تصرفاتهم الخاطئة ونجد ان بعض الدراسات التي تناولت دراسة سلوك العنف أشارت إلى أن ضحية العنف لطالما كان سببا في ارتكاب الجريمة من خلال قيامه باستثارة غضب الجاني ودفعه أحيانا لارتكاب سلوك العنف.

نشير كذلك الى ان مقابلة سلوك العنف بالعنف كما يحدث في بعض الأوساط الاجتماعية مع الأسف الشديد لن ينتج إلا عواقب وخيمة ونتائج سلبية, لكن ما ينبغي التأكيد عليه هنا أن مقابلة الإيذاء بالإحسان والتصرف بحكمة مع الشخص المعتدي لا تعني انكار الحق والوقوف ضد الظلم والمنكر كما يحدث مع الأشخاص الذين تجاوزوا جل القواعد والضوابط التي تحكم الحياة الاجتماعية بل ينبغي لهذه الحكمة والتأني أن تكون في مواقفها وإلا فقد تحول الأمر إلى فوضى وميوعة يتصرف فيها العنيف بعنفه والحكيم ذو العقل يكون دائما هو الضحية.

ينبغي التأكيد أن الدين الإسلامي نهى عن التعامل بعنف مع الآخرين كما نهى كذلك عن ظلمهم وعن اي سلوك يلحق الضرر بهم وبالمقابل دعا إلى التأني والحكمة في معاملة المخطئ وعدم رد الخطأ بالخطأ إلا في حالة تجاوز الحدود المنظمة الحياة الاجتماعية.

نشير كذلك الى ان الدين الإسلامي قد أرسى قواعد التعامل مع مختلف اشكال العنف كتحميل المذنب مسؤولية افعاله الخاطئة وعدم تركه دون حساب او عقاب مصداقا لقوله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب ، كما قال تعالى : ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه. زيادة على وله جل من قائل : تلك حدود الله فلا تعتدوها كدلائل كلها على ان الانسان يتحمل مسؤولية اخطاءه .

يظهر من مما تقدم عرضه سعي هذه النظريات الى تفسير سلوك العنف رغم اختلافها في تحديد الأسس الذي يقوم عليه سلوك العنف الا انها أسهمت في تقديم صورة شاملة حول هذه الظاهرة .

اذ نجد ان نظرية التحليل النفسي مثلا ترجعه إلى غريزتي الموت والحياة عند الانسان و هي تؤكد ان فشل الإنسان في اشباع مختلف رغباته الداخلية والخاصة به نتيجة تأثير مختلف ظروف المجتمع الخارجية هو الأساس الذي يدفع به نحو سوك العنف, و في مقابل ذلك تنجد ان نظرية التعلم تؤكد أن العنف هو سلوك ينتهجه الإنسان نتيجة عملية التعلم من مختلف المصادر كالآخرين و كذا الوسائل الإعلامية كذلك ، و في المقابل فسرت نظرية الضبط الاجتماعي سلوك العنف في ظل ضعف منظومة الضبط الاجتماعي للأفراد سؤاء سواء داخل الأسرة أو داخل المجتمع بصفة عامة في حين يركز اتجاه ثقافة العنف على مكون الثقافة كعامل رئيسي في تعلم العنف وذلك من خلال تأكيدها أن بعض النماذج الثقافية تتعارض مع الثقافة الأصلية للمجتمع .

كما نجد ان المنظور الإسلامي تقد تصورا خاصا به جمع فيه بين طبيعة النفس البشرية التي تتغير احوالها وبين الضوابط الشرعية التي حرمت سلوك العنف والظلم في إطار قوانين ومبادئ التي حددها الشرع الحكيمة لك القوانين التي راعت المصلحة العامة للفرد والمجتمع وعملت على خلق توليفة مفادها ان الفرد والمجتمع هما وجهان لعملة واحدة وان ما يصلح للفرد يصلح للمجتمع وما يضر بالمجتمع يضر بالفرد كذلك .

تجدر الإشارة الى ان الدين الإسلامي أرسى القواعد الوقائية أولا لبناء مجتمع سليم وذلك بسن جملة من التشريعات التي مصدرها الوحي السنة الشريفة مع العمل كذلك على سن الاليات السليمة للتعامل مع مختلف اشكال العنف والصراع التي قد تظهر داخل المجتمع بين الفينة والأخرى.

- **الخلاصة:**

يمكن القول أن ما قدمته هذه المنظورات من تفسيرات وتحليلات في محاولة منها للوقوف على عوامل سلوك العنف وتحليلها هادفة من وراء ذلك الى فهم الظاهرة ولم لا التحكم فيها.

نشير ختاما الى ان هذه الجهود قد ساهمت في توضيح مختلف الجوانب المهمة في تفسير الظاهرة اذ ورغم و رغم تركيز كل نظرية على جانب معين في تفسير هذه الظاهرة إلا أنها تتفق على ان العنف هو سلوك اجتماعي مرفوض له تأثيراته السلبية الكبيرة على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية بدءا بالأفراد وانتهاء بالمجتمع كما أن هذه الظاهرة (العنف) تتأثر بجملة من العوامل الذاتية للإنسان كالعوامل الفيزيولوجية والنفسية إضافة إلى عوامل أخرى طبيعية كالبيئة التي يعيش فيها الفرد حيث أثبتت الدراسات أن عامل الحرارة مثلا تعتبر من العوامل المؤثرة في سلوك الفرد اذ يميل الإنسان إلى ارتكاب سلوك العنف نتيجة تأثير عامل الحرارة .

إضافة الى ذلك لا يمكن تجاهل العوامل الاجتماعية ودورها في سلوك العنف فالظروف الأسرية للفرد وكذا وضعه المادي ومنظومة علاقاته الاجتماعية كلها عوامل تؤثر في سلوكه إذ نجد ان بعض الفراد ينتهجون سلوك العنف نتيجة تأثير هذه العوامل.

وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل الأخرى السالفة الذكر كما أن بعض حالات العنف يكون مردها إليه و هو عامل الموقف الذي يجد الإنسان نفسه فيه اذ يمكن الوقوف على حالات ارتكاب سلوك العنف لدى كثير من الأشخاص الأسوياء الذين لا يعانون من تأثير العوامل السابقة الذكر إلا أن بعض مواقف المفاجئة وغير المتوقعة التي وجدوا انفسهم فيها اجبرتهم على ذلك ولعل ما يحدث مثلا في حالة اعتراض مجموعة من اللصوص لشخص ما والاعتداء عليه و ترهيبه اذ ونتيجة لدفاع هذا الشخص عن نفسه فقد يرتكب خطأ ما كقتل احدهم مثلا أو ضربه وعليه فإنه و زيادة عن العوامل المسببة للعنف والتي سبق ذكرها ولها تأثير في قيام الإنسان بسلوك العنف فإن الموقف الذي يجد فيه الفرد نفسه كذلك له دور مباشر في تفسير سلوك العنف و تحديد أسبابه كذلك.

توصيات :

ارتأينا في ختام مقالتنا العلمية هذه تقديم بعض التوصيات التي نراها تساهم في التخفيف من ظاهرة العنف المدرسي والعمل على مجابهتها وقد جاءت توصياتنا على النحو الاتي:

- ضرورة الاستماع الى مختلف اهتمامات وانشغالات التلاميذ وفتح قنوات الحوار معهم باستمرار.
- ضرورة تنسيق العمل بين المدرسة والاسرة وتعيل اليات التواصل المستمر بينهما.
- الحرص على مرافقة التلميذ مع مراقبة جماعة الاقران .
- العمل على البحث عن حلول استعجالية لما احدثته وتحدثه تكنولوجيا الألعاب الالكترونية خاصة العنيفة منها.
- الحرص على إقامة لقاءات دورية مع التلاميذ للتنبيه من ظاهرة العنف المدرسي والوقاية منها.
- استغلال جهود المؤسسات التربوية الأخرى كالمسجد والاعلام وغيرها في محاربة ظاهرة العنف المدرسي الوقاية منها.
- العمل من خلال تنسيق جهود الجميع على خلق بيئة اجتماعية سليمة وخالية قدر المستطاع من مختلف المشكلات الاجتماعية.
- استغلال الأنشطة اللاصفية وكذا الترفيهية داخل المؤسسة التربوية وخارجها.
- تفعيل دور النوادي المدرسية بغية العمل أكثر على تقريب التلميذ من مؤسسته التربوية ودفعه للإحساس بدوره الفعال فيها.
- تفعيل الدور الفعال لمستشاري التربية المدرسية كوسيط بين التلاميذ وأعضاء الطاقمين الإداري والتربوي.
- التركيز على تقوية المنظومة القيمية للتلميذ خاصة في ظل سرعة انتشار القيم الدخيلة اليوم.
- الحرص على تنشئة اجتماعية سليمة للأبناء تقوم على أسس حب الاخرين والمعاملة الطيبة والتعاطف والاخاء .

- التصدي بالسبل الوقائية أولا ثم العلاجية ثانيا لثقافة العنف التي أصبحت نهجا عند البعض وأسلوب حياة يجسدونه في جل مواقفهم وتعاملهم مع الاخرين .

– الإحالات والمراجع :

- احمد عكاشة،(1982). **علم النفس الفيزيولوجي**، ط6، دار المعارف
- أميمة منير عبد الحميد جادو, (2005). **العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام**, دار السحاب للنشر والتوزيع، ط1 .
- الطيب بالجرحي، (1994). **المجلة النفسية لعلوم النفس وعلوم التربية**، جامعة الجزائر، العدد السادس .
- حامد عبد السلام زهران، (1995). **علم النفس النمو والطفولة والمراهقة**، الطبعة الخامسة، القاهرة .
- مختار رحاب،(2010/2009). **العوامل السوسيو ثقافية لظاهرة العنف لدى الشباب الجامعي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التربية، جامعة قسنطينة
- مسعود بوسعدية،(2011). **ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر .
- سلاطنية بلقاسم, حميدي سامية, (2008). **العنف والفقر في المجتمع الجزائري**, دار الفجر للنشر والتوزيع ،القاهرة .
- فيليب بيرنو وآخرون, (1985). **المجتمع والعنف** , ترجمة الأب الياس زحلاوي ، ط2،المؤسسة الجامعية للدراسات .
- Guastave-nicolas(2003),.f. psychologie de violences social.dun.paris.